

... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْحَسَبُ الْمَالُ وَالكَرْمُ التَّقْوَى.

التَّقْوَى: اسْتِشْعَارُ الْإِنْفَاءِ عَلَى رِضَا رَبِّنَا حَيًّا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرِيمُ!

إِنَّ رَسُولَنَا الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ الْكَرَامِ ذَاتَ مَرَّةٍ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَتْهُمْ". وَبَعْدَهَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"¹

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلَّمَنَا مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ هَذَا وَدَلَّنَا عَلَى طَرِيقِ الْخَلَاصِ مِنْ كَافَّةِ أَشْكَالِ الْمِحْنِ وَالتَّحْدِيَّاتِ وَطَرِيقِ الظَّفَرِ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ التَّقْوَى.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ التَّقْوَى هِيَ اسْتِشْعَارُ الْإِنْفَاءِ عَلَى رِضَا رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ حَيًّا. وَهِيَ التَّوَقُّؤُ لَطَلْبِ مَحَبَّتِهِ، وَهِيَ الْخَوْفُ مِنْ فَقْدِ رِضَاهُ. كَمَا أَنَّهَا هِمَّةٌ إِمْضَاءِ الْعُمُرِ فِي إِذْرَاكِ مَسْئُولِيَّاتِنَا. وَإِنَّ التَّحَلِّيَ بِالتَّقْوَى هُوَ أَشْبَهُ تَمَامًا بِالْإِنْتِبَاهِ الَّذِي تُظْهِرُهُ كَيْ لَا تُصَابَ أَجْسَادُنَا بِالضَّرَرِ بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ فِي طَرِيقِ بِهِ شَوْكٌ. فَالتَّقْوَى هِيَ إِسْمٌ لِإِزْتِبَاكِنَا ذَاكَ الَّذِي يَكُونُ كَيْ لَا نَقَعَ فِي الْأَقَامِ وَالْحَرَامِ فِي حَيَاتِنَا، عَلَى شَاكِلَةِ تَصْرُفِنَا بِإِنْتِبَاهِهِ وَحَدَرٍ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يُصِيبَ الضَّرَرُ أَجْسَادَنَا فِي طَرِيقِ كَهَذَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَقَاصِلُ!

إِنَّ أَوْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ جَوْهَرُ الْإِسْلَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالَّتِي تَعْنِي "أَنْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ". وَإِنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ، لِيُصَدِّقَ مِنْ قَلْبِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَيَقْرَأَ بِهَا بِلِسَانِهِ، وَإِنَّهُ لَيُؤْمِنُ مِنْ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ الَّذِي أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَبِرَسُولِهِ الَّذِي عَلَّمَهُ الدِّينَ. كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ وَأَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.

أَمَّا ثَانِي دَرَجَاتِ التَّقْوَى، فَهِيَ إِظْهَارُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ. فَكَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنْ أَكْرَمَ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُمْ أَتْقَاهُمْ وَأَحَدَرَهُمْ مِنْ عَدَمِ الطَّاعَةِ² وَإِنَّ الطَّاعَةَ، تَكُونُ عَبْرَ التَّجَمُّلِ بِلِبَاسِ التَّقْوَى. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَلْتَفُ حَوْلَ التَّقْوَى، يَتَحَلَّى بِالعَرِيْمَةِ عَلَى أَدَاءِ كَافَّةِ وَاجِبَاتِ وَمُقْتَضِيَّاتِ الْإِسْلَامِ؛ حَيْثُ أَنَّهُ يُؤَدِّي صَلاَتَهُ فِي خُشُوعٍ وَإِسْتِقَامَةٍ، وَيُنْفِقُ مِمَّا أُعْطِيَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. كَمَا أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى الْعَدَالَةِ قَانِمَةً، وَيَحْفَظُ الْعَهْدَ الَّذِي يُعْطِيهِ. وَإِنَّهُ يُرَاعِي حُقُوقَ الْعِبَادِ وَحُقُوقَ الْعَامَّةِ. وَكَذَلِكَ يُعَامِلُ آبَاؤَهُ وَأَقَارِبَهُ وَجِيرَانَهُ وَمَنْ يَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ مُعَامَلَةً حَسَنَةً. وَيُرَاعِي أَيْضًا أَنْ يَكُونَ كَسْبُهُ حَلَالًا وَطَاهِرًا. كَمَا أَنَّهُ دَائِمًا مَا يَسْتَعْمِلُ يَدَهُ وَلِسَانَهُ وَعَيْنَهُ وَقَلْبَهُ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَمَّا دُرُوءُ التَّقْوَى فَهِيَ إِخْرَاجُ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا دُونَهُ مِنْ قُلُوبِنَا. فَقَدْ أَشَارَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقَالَ: "التَّقْوَى هَاهُنَا".³ فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، يَتَبَعِدُ عَنِ الْمَشَاعِرِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي تُدَسُّ قَلْبَهُ وَيَتَجَنَّبُ الطَّبَائِعَ السَّيِّئَةَ وَالتَّصْرُفَاتِ الْفُظَّةَ الْعَلِيظَةَ. كَمَا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى إِزْتِكَابِ الْخَطَايَا وَالْأَقَامِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُسَوِّدُ قَلْبَهُ، وَإِلَى الْإِضْرَارِ عَلَى الْخَطَايَا الصَّغِيرَةِ، عَلَى أَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقَاصِلُ!

إِنَّ رَسُولَنَا الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي حَدِيثٍ لَهُ: "الْحَسَبُ الْمَالُ وَالكَرْمُ التَّقْوَى".⁴ لِذَا، تَعَالَوْا بِنَا نَتَّجَمَلُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى الَّذِي سَيُعَلِّي مِنْ قَدْرِنَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي سَيَجْعَلُ مِنْ وُجُوهِنَا بَيْضَاءَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلِنَبْتَعِدَ عَنْ عِضْيَانِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَعَنْ الْفِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ وَتَسْتَدْعِي عَضْبَهُ سُبْحَانَهُ، وَعَنْ الْمُثُولِ أَمَامَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُودَ الْوُجُوهِ. وَلَا يَجِبُ أَنْ نَنْسَى أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ التَّقْوَى عَلَى أَنَّهُمْ أَحْبَابُهُ. وَإِنَّهُ يُبَشِّرُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.⁵

¹ سنن الدارمي، كتاب الرقاق، 16، سورة الطلاق، الآية: 2.

² سورة الحجرات، الآية: 13.

³ صحيح مسلم، كتاب البر، 32.

⁴ سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، 49.

⁵ سورة يونس، الآيات: 62-63.